السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ١٥

صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ

بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ، فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ



Hj Che Alim Hj Che Haron
AK (Kelantan)
quranscience.my

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ Hj Che Alim Hj Che Haron AK (Kelantan) • @QuranScienceMY • quranscience.my
هذا الكتاب الإلكتروني مجاني للمسلمين — يمنع بيعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ١٥

صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ

بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ، فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ

*لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

سورة الفتح (٤٨): ١٨

HJ CHE ALIM HJ CHE HARON

quranscience.my | @QuranScienceMY

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ quranscience.my — كتاب إلكتروني مجاني. يُمنع بيعه.

شكر وإهداء

الحمد لله الذي رضي عن المؤمنين إذ يبايعون تحت الشجرة، وجعل الصلح فتحًا مبينًا. والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أُهدي هذا الكتاب خاصّةً إلى زوجتي الحبيبة،

زهرة محمد لطيف؛

وإلى أبنائي وبناتي الأحبّة،

محمد حافظ، نور هزواني، عبد الحكيم، نور هداية، نور عاقلة ونور عتيقة؛

وإلى أصهاري وكنّاتي،

فضيلة، مالك، حنين، فيريزال وفيروان.

تروي هذه الحلقة الخامسة عشرة من «السيرة النبوية» صلحَ الحديبية: عمرةً صُدَّ عنها، وبئرًا فاضت، وبيعةَ الرضوان، وشروطًا بدت جائرة، وسورةَ الفتح التي سمّته «فتحًا مبينًا». أسأل الله أن يجعل هذا العلم عِلْمًا يُنْتَفَعُ بِهِ.

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

عن غلاف هذا الكتاب

لا يصوّر غلافُ هذا الكتاب أيَّ إنسانٍ أو حيوان، بل يعرض **بئرًا حجريّةً قديمة** في وسط وادٍ صخريّ في **صباحٍ مشرق، ماؤها صافٍ فائض** حتى حافّتها يتلألأ في ضوء الشمس. ومن حولها تنبت **براعمُ خضراء** من الأرض اليابسة، وتلوح في الأفق البعيد **سلسلةُ جبالٍ** زرقاء نحو مكّة.

تذكّر البئرُ ببئر الحديبية التي جفّت حتى لم يبقَ فيها قطرة، ثم فاضت بعد أن صبّ رسول الله ﷺ فيها ماءَ وضوئه ودعا (صحيح البخاري ٤١٥٠). وترمز البراعم الخضراء إلى مثَل الصحابة في سورة الفتح: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾ (٤٨: ٢٩) — صلحٌ بدا صغيرًا، فأنبت فتحًا عظيمًا. والجبال البعيدة جهةُ مكّة المشتاق إليها، التي دُخلت آمنةً في آخر الأمر (٤٨: ٢٧).

الشريط الأزرق الداكن في الأسفل، المؤطَّر ب**خطوطٍ ذهبيةٍ رفيعة**، هو موضع اسم المؤلف.

المحتويات

صلح الحديبية — مقدّمة
١. رؤيا رسول الله ﷺ — الفتح ٤٨: ٢٧
٢. الخروج للعمرة — صحيح البخاري ٢٧٣١؛ كتب السيرة
٣. بروك القصواء — صحيح البخاري ٢٧٣١
٤. بئر الحديبية تفيض — صحيح البخاري ٤١٥٠
٥. رسل قريش — صحيح البخاري ٢٧٣١
٦. عثمان إلى مكّة — صحيح البخاري ٣٦٩٨؛ كتب السيرة
٧. بيعة الرضوان — صحيح البخاري ٤١٦٩؛ الفتح ٤٨: ١٠
٨. «خير أهل الأرض» — صحيح البخاري ٤١٥٤؛ صحيح مسلم ٢٤٩٦
٩. رضي الله عنهم تحت الشجرة — الفتح ٤٨: ١٨
١٠. الشجرة التي نُسيت — صحيح البخاري ٤١٦٣
١١. مجيء سهيل بن عمرو — صحيح البخاري ٢٧٣١
١٢. كتابة الصلح — صحيح مسلم ١٧٨٤
١٣. شروط الصلح — شكل؛ صحيح البخاري ٢٧٣١
١٤. أبو جندل في قيوده — صحيح البخاري ٢٧٣١
١٥. قلق عمر — صحيح البخاري ٣١٨٢
١٦. مشورة أمّ سلمة — صحيح البخاري ٢٧٣١
١٧. التحلّل: النحر والحلق — البقرة ٢: ١٩٦
١٨. نزول سورة الفتح — صحيح البخاري ٤١٧٧
١٩. أفتح هو؟ — صحيح البخاري ٤١٧٢، ٤١٥٠
٢٠. أبو بصير: المخرج الموعود — صحيح البخاري ٢٧٣١
٢١. المهاجرات — الممتحنة ٦٠: ١٠
٢٢. فنّ التفاوض — الأنفال ٨: ٦١
٢٣. مصادر قصص الحديبية — شكل؛ جدول
٢٤. المخلَّفون والمستضعفون المستخفون — الفتح ٤٨: ١١-١٧، ٢٠-٢٥؛ جدول
٢٥. الشورى وأحكامٌ من الحديبية — صحيح البخاري ٤١٧٨، ٤١٧٩، ٤١٥٩؛ البقرة ٢: ١٩٦
٢٦. رجال صلح الحديبية — جدول؛ صحيح البخاري ٢٧٣١؛ صحيح مسلم ١٨٥٦، ١٨٥٨
٢٧. الأماكن على طريق الحديبية — جدول
٢٨. الخطّ الزمني لصلح الحديبية — جدول؛ صحيح البخاري ١٧٧٨
٢٩. أسئلة شائعة عن صلح الحديبية — ١٢ سؤالًا
٣٠. العبر والخاتمة
المراجع
الدعم والتبرّع

دليل الألوان: الإطار الأخضر = آية من القرآن الكريم؛ الإطار الذهبي = حديث؛ الإطار البنّي = من كتب السيرة؛ الجدول الأزرق = مقارنة. أسماء الرواة المسطّرة بالأزرق روابط إلى صفحاتهم في موقع sunnah.com.

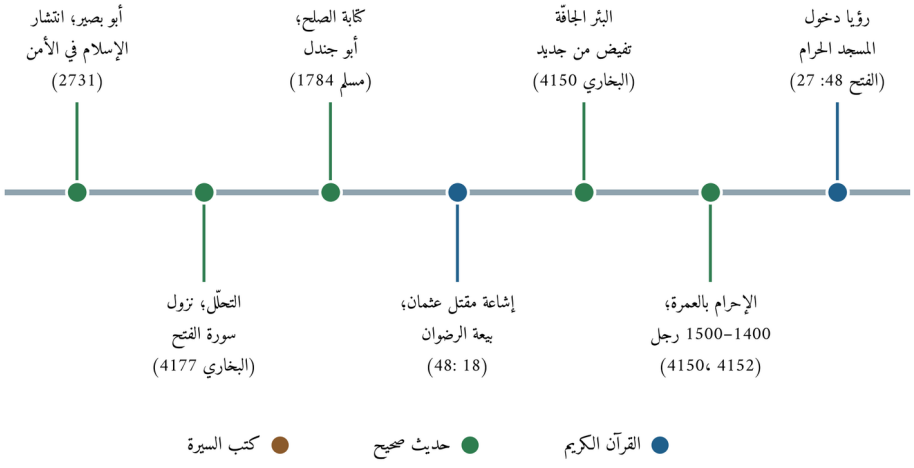
صلح الحديبية

بعد ستّ سنواتٍ من الهجرة كان المهاجرون لا يزالون يحنّون إلى مكّة والكعبة. وقد مرّوا ببدر وأُحد والخندق وابتلاءاتٍ شتّى (الحلقات ٩–١٤). وفي **ذي القعدة سنة ستٍّ من الهجرة** خرج رسول الله ﷺ ومعه نحو **ألفٍ وأربعمائة** من أصحابه — لا للقتال، بل **لأداء العمرة**.

فصدّتهم قريش عند **الحديبية** على طرف الحرم. ومن ذلك اللقاء وُلد صلحٌ بدت شروطه **مجحفةً** بالمسلمين — حتى إنّ عمر رضى الله عنه نفسه قلق. لكنّ الله أنزل في طريق العودة **سورة الفتح**، وسمّى ذلك الصلح **﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾**.

روى هذه القصّة بتفصيلٍ بالغ المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان في واحدٍ من أطول الأحاديث في صحيح البخاري (صحيح البخاري ٢٧٣١). وهي تعلّمنا **الصبر والطاعة وحكمة التفاوض**، وكيف يصير ما يبدو هزيمةً نصرًا.

الخطّ الزمني لصلح الحديبية (ذو القعدة 6هـ)



ذو القعدة 6هـ يوافق نحو مارس 628م.

الشكل ١: الخطّ الزمني لصلح الحديبية.

ملاحظة: الآيات القرآنية في هذا الكتاب بالنصّ العربي مع روابطها. وتُذكر درجة كلّ حديث في إطاره. وما ورد في كتب السيرة وُضع في الإطار البنّي «من كتب السيرة»، وأُرفقت الوقائع التاريخية بروابط مصادرها.

رؤيا رسول الله ﷺ

بدأت هذه الرحلة بـ**رؤيا**. رأى رسول الله ﷺ في منامه أنّه وأصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين، محلّقين ومقصّرين. ورؤيا الأنبياء **وحي**، ففرح الصحابة وتجهّزوا للخروج. ثم ذكر الله تلك الرؤيا في سورة الفتح: ﴿**لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ تفسير ابن كثير ٤٨: ٢٧.

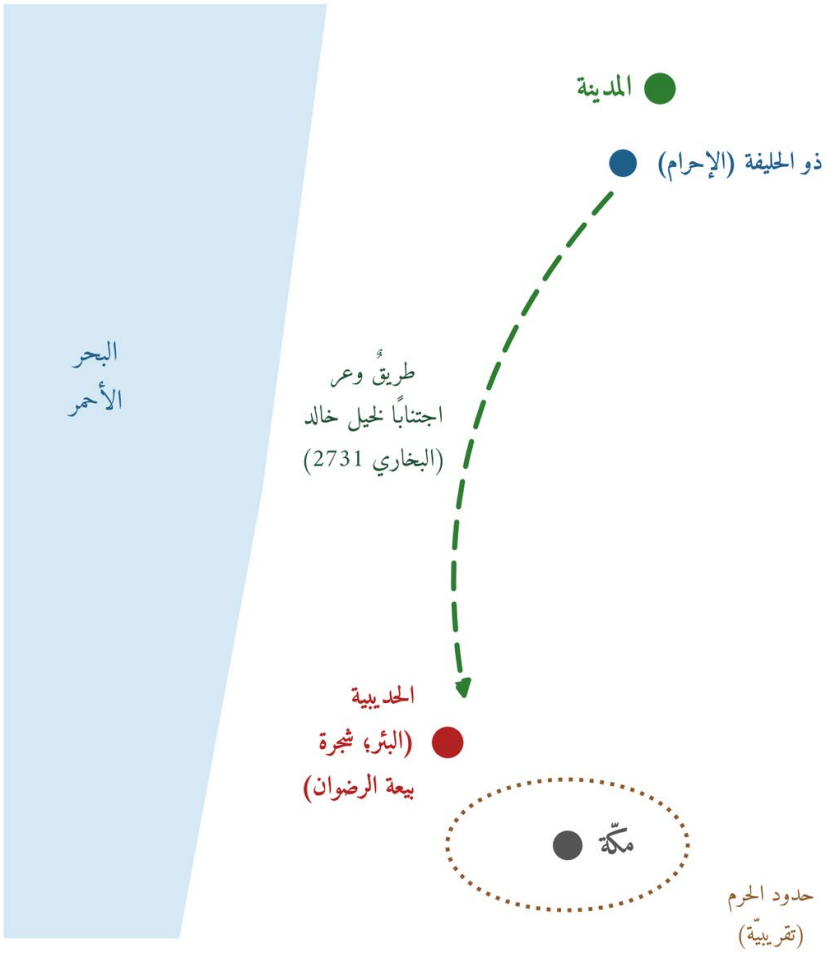
غير أنّ الرؤيا **لم تذكر سنتها**. فظنّ الصحابة أنّها ستقع في ذلك العام، فلمّا صُدّوا حزن كثيرٌ منهم. وبيّن ابن كثير أنّ الله أخّرها **عامًا**، فتحقّقت فعلًا في عمرة القضاء سنة ٧هـ.

والعبرة: أنّ وعد الله **حقٌّ لا محالة**، لكنّ وقته بحسب علم الله لا بحسب ظنّنا. وكثيرًا ما يولد الإحباط حين نحدّد موعدًا لوعدٍ لم يحدّد الله موعده.

الخروج للعمرة

خرج رسول الله ﷺ من المدينة في ذي القعدة – أحدِ **الأشهر الحُرُم** التي تعظّمها العرب ويحرم فيها القتال. وفي **ذي الحُلَيفة** أحرم هو وأصحابه بالعمرة، وقلّد **الهدي** وأشعره علامةً على أنّهم جاؤوا للعبادة (صحيح البخاري ٢٧٣١).

الطريق إلى الحديبية (رسم تخطيطي)



رسمٌ تخطيطيّ لحسب. تقع الحديبية على طرف الحرم، على نحو 20 كم من مكّة؛ وتُعرف اليوم بالشُّمَيْسي.

الشكل ٢: الطريق من المدينة إلى الحديبية (رسم تخطيطي).

العلامة	الرسالة إلى قريش
الشهر الحرام (ذو القعدة)	لم نأتِ للقتال
ثياب الإحرام	جئنا معتمرين
الهدي المقلَّد	جئنا لتعظيم الكعبة
السيوف في القُرُب فقط	سلاح المسافر وحده (كتب السيرة)

ذكر حديثا جابر والبراء أنّ عددهم كان **ألفًا وأربعمائة** أو **ألفًا وخمسمائة** (الباب ٤). والعبرة: أنّ رسول الله ﷺ **بدأ بالسلم**، وأوضح نيّته بأفعالٍ جليّة، حتى لا يبقى عذرٌ للاعتداء.

الأشهر الحرم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا... مِنْهَا **أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾ (التوبة ٩: ٣٦). وهذه الأربعة هي **ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب**. وكان العرب في الجاهليّة أنفسهم يعظّمونها ويكفّون فيها عن القتال.

وباختيار ذي القعدة وضع رسول الله ﷺ قريشًا في **مأزق**: إن صدّوا معتمرين عُزّلًا في الشهر الحرام بدوا ظالمين في أعين قبائل العرب. والعبرة: أنّ **اختيار الوقت المناسب** من الحكمة.

بروك القصواء

فلمّا بلغ **عُسْفان** جاءه الخبر بأنّ قريشًا تهيّأت لصدّه، وأنّ **خالد بن الوليد** (ولم يكن أسلم بعد) في خيلٍ بالغَمِيم طليعةً. فسلك رسول الله ﷺ **طريقًا** آخر وعرًا بين الشعاب حتى لا يلقاهم (صحيح البخاري ٢٧٣١).

فلمّا بلغ الثنيّة التي يُهبط منها على مكّة **بركت** ناقته **القصواء** فأبت أن تقوم. فقال الناس: خلأت القصواء! فقال: «**مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**». ثم قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**» صحيح البخاري ٢٧٣١.

و«حابس الفيل» إشارةٌ إلى **جيش أبرهة صاحب الفيل** الذي حُبس عن دخول مكّة عام مولده ﷺ (سورة الفيل). وفهم رسول الله ﷺ أنّ الله **لا يريد سفك الدماء** في الحرم يومئذ.

والعبرة: أنّ القائد يقرأ **العلامات** ويختار أبعد الطرق عن سفك الدماء. واستعداده ﷺ لقبول **كلّ خطّةٍ يُعظَّم فيها حرماتُ الله** صار أساسًا للصلح الذي تلا.

الفيل المحبوس

قوله ﷺ «حبسها حابس الفيل» يذكّر بـ**عام الفيل**. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (الفيل ١٠٥: ١). جاء أبرهة بالفيل ليهدم الكعبة، فأبى فيلُه أن يتوجّه نحو مكّة، وأهلك الله جيشه.

تدلّ الحادثتان على أنّ الله **يحفظ حرمة الحرم**. لكنّ الغاية هذه المرّة كانت مختلفة: حبس الله ناقة رسوله ﷺ لا ليُهلك أحدًا، بل **ليمنع سفك الدماء** ويفتح الطريق إلى الصلح.

بئر الحديبية تفيض

نزل رسول الله ﷺ بأقصى وادي الحديبية على بئرٍ قليلة الماء. ومع آلاف الناس والإبل جفّت البئر سريعًا.

ويحكي البراء بن عازب رضى الله عنه ما جرى:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٥٠

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ - رضى الله عنه - قَالَ تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ. كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالْحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ فَنَزَحْنَاهَا، فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا، ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابَنَا.

السند رواه الإمام البخاري: عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٥٠؛ وانظر أيضًا رقم ٣٥٧٧.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4150

لاحظ: أنّ **الفتح الحقيقيّ** عند الصحابة هو بيعة الرضوان، لا فتح مكّة (الباب ١٩).

الماء من بين الأصابع

ويحكي جابر بن عبد الله رضى الله عنهما معجزةً أخرى في الماء في اليوم نفسه:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٥٢

حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ جَابِرٍ - رضى الله عنه - قَالَ عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا لَكُمْ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ، وَلاَ نَشْرَبُ إِلاَّ مَا فِي رَكْوَتِكَ. قَالَ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، قَالَ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا. فَقُلْتُ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً.

السند رواه الإمام البخاري: عن يوسف بن عيسى، عن ابن فُضَيل، عن حُصَين بن عبد الرحمن، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٥٢؛ وانظر أيضًا رقم ٣٥٧٦؛ وصحيح مسلم رقم ١٨٥٦.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4152

المعجزة	البيان
البئر الفائضة	صُبّ ماء وضوئه ﷺ ودعاؤه في البئر الجافّة (٤١٥٠)
الماء من بين الأصابع	نبع الماء من بين أصابعه ﷺ كالعيون (٤١٥٢)
العدد	١٤٠٠–١٥٠٠ رجل شربوا وتوضّؤوا
الشهود	البراء وجابر — وكلاهما حاضر

والعبرة: أنّ الله قبل الابتلاء الكبير بالصلح **قوّى إيمان** الصحابة بمعجزاتٍ شهدوها بأعينهم. والقلب الذي رأى نصر الله أقدر على الصبر عند الابتلاء.

رسل قريش

بعثت قريش رسلًا لتعرف غرض المسلمين. وكان أوّلهم **بُدَيل بن وَرْقاء** من خُزاعة، فقال له رسول الله ﷺ: **«إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ... فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً»** (صحيح البخاري ٢٧٣١).

ثم جاء **عروة بن مسعود الثقفي**، فجعل يرمق الصحابة بعينيه، ثم رجع إلى قريش فقال: **«أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا»**. ووصف كيف كانوا يقتتلون على وَضوئه، ويخفضون أصواتهم عنده، ولا يُحِدّون إليه النظر تعظيمًا له (صحيح البخاري ٢٧٣١).

الرسول	الأثر
بُدَيل بن ورقاء	بلّغ قريشًا عرض الصلح
عروة بن مسعود	أعجب بمحبّة الصحابة؛ نصح قريشًا بالقبول
رجلٌ من بني كنانة	رأى الهدي المقلَّد: «ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدّوا!»
مِكْرَز بن حفص	وصفه ﷺ بأنّه «رجلٌ فاجر»

والعبرة: أنّ **أخلاق الصحابة ومحبّتهم** لرسول الله ﷺ كانت أبلغ دعوة؛ فقد رجع رسل العدوّ بالإعجاب لا بالحقد.

المحبّة الحقّة

ما رآه عروة بن مسعود لم يكن أدبًا فحسب، بل **إيمانًا**. قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» (صحيح البخاري ١٥).

ثم امتُحنت محبّة الصحابة في الحديبية: أيطيعون ولو خالف قرارُه ﷺ مشاعرَهم؟ والعبرة: أنّ المحبّة الصادقة لرسول الله ﷺ تُثبت بـ**الطاعة** لا بالتعظيم الظاهر وحده.

عثمان إلى مكّة

ثم بعث رسول الله ﷺ **عثمان بن عفّان** رضى الله عنه إلى مكّة ليبيّن غرضهم، لأنّ لعثمان عشيرةً قويّةً بمكّة تحميه.

من كتب السيرة: إشاعةٌ هزّت المعسكر

تذكر كتب السيرة أنّ قريشًا عرضت على عثمان أن يطوف بالكعبة فأبى: «**مَا كُنْتُ لِأَطُوفَ حَتَّى يَطُوفَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ». واحتبسته قريش أطول ممّا كان متوقّعًا، فشاعت **إشاعةٌ بأنّ عثمان قد قُتل**.

وقتلُ الرسول غدرٌ عظيمٌ في عرف العرب. فدعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى البيعة (الباب ٧).

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

وقد سجّل الحديث الصحيح تكريمًا عظيمًا لعثمان. فقد بيّن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنّ عثمان غاب عن بيعة الرضوان لأنّه بُعث إلى مكّة، ثم قال: «**فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ **بِيَدِهِ الْيُمْنَى: هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ فَقَالَ: هَذِهِ لِعُثْمَانَ**» صحيح البخاري ٣٦٩٨.

والعبرة: أنّ عثمان **لم يغتنم فرصةً شخصيّة** ليطوف قبل رسول الله ﷺ. وأنّ رسول الله ﷺ **حفظ حقّ** الصاحب الغائب في مهمّة — فكانت يده الشريفة يدَ عثمان.

بيعة الرضوان

فلمّا بلغت إشاعة مقتل عثمان جلس رسول الله ﷺ تحت **شجرة** ودعا أصحابه إلى البيعة، فأقبلوا يتسابقون. فعلى أيّ شيءٍ كانت البيعة؟ يجيب سلمة بن الأكوع رضى الله عنه، وكان ممّن بايع، بإيجاز:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٦٩

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ عَلَى أَيِّ شَىْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ. قَالَ عَلَى الْمَوْتِ.

السند رواه الإمام البخاري: عن قتيبة بن سعيد، عن حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عُبَيد، عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٦٩؛ وانظر أيضًا رقم ٢٩٦٠؛ وصحيح مسلم رقم ١٨٦٠.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4169

وفي رواية أخرى قال جابر رضى الله عنه إنّهم بايعوا **على ألّا يفرّوا** (صحيح مسلم ١٨٥٦). والمعنيان واحد: الثبات حتى آخر قطرة دم. جاؤوا في ثياب الإحرام والسيوف في قُرُبها، لكنّهم مستعدّون للموت في سبيل الحقّ.

ورفع الله تلك البيعة إلى منزلةٍ عالية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**﴾ تفسير ابن كثير ٤٨: ١٠.

والعبرة: أنّ الوفاء الحقّ يُمتحن عند **الخطر** لا عند الرخاء. وكلّ عهدٍ مع رسول الله ﷺ هو في حقيقته **عهدٌ مع الله**.

سلمة يبايع ثلاث مرّات

وفي رواية الإمام مسلم الطويلة يحكي سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أنّه بايع في أوّل الناس، فلمّا كان في وسطهم قال رسول الله ﷺ: «بَايِعْ يَا سَلَمَةُ». قال: قد بايعتُ يا رسول الله. قال: «وَأَيْضًا». ثم طلب منه في آخرهم أن يبايع **مرّةً ثالثة**) صحيح مسلم ١٨٠٧.(

وبيّن العلماء أنّ رسول الله ﷺ أراد **تكريم** سلمة لشجاعته وسرعته في القتال. والعبرة: أنّ القائد الصالح **يعرف فضل** كلّ واحدٍ من أتباعه ويقدّره.

«خيرُ أهل الأرض»

أعطى رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة ثناءً لا نظير له. يروي جابر بن عبد الله رضى الله عنهما:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٥٤

حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ. وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، وَلَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ الْيَوْمَ لأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ. تَابَعَهُ الأَعْمَشُ سَمِعَ سَالِمًا سَمِعَ جَابِرًا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ.

السند رواه الإمام البخاري: عن علي بن المديني، عن سفيان بن عُيَينة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، وتابعه الأعمش، عن سالم، عن جابر.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٥٤؛ وصحيح مسلم رقم ١٨٥٦.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4154

روى جابر هذا الحديث وقد كبرت سنّه وكُفّ بصره، وهو يقول: «لو كنتُ أُبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة». وأكثر من ذلك، فقد طمأنهم رسول الله ﷺ على آخرتهم:

حديث — صحيح مسلم، رقم ٢٤٩٦

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا. قَالَتْ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} فَقَالَ

النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}

السند رواه الإمام مسلم: عن هارون بن عبد الله، عن حجّاج بن محمد، عن ابن جُرَيج، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن أمّ مُبَشِّر رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، حديث رقم ٢٤٩٦.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:2496

تأمّل الحوار بين رسول الله ﷺ وحفصة رضى الله عنها: لم تعترض حفصة، بل **سألت لتفهم** مستدلّةً بآية من القرآن، فأجابها ﷺ بآيةٍ من القرآن أيضًا. وهذا أدب المناظرة في العلم.

والعبرة: أنّ منزلة أهل بيعة الرضوان عاليةٌ جدًّا. ومن سبّهم فقد سبّ قومًا أثنى عليهم رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم (الباب ٩).

رضي الله عنهم تحت الشجرة

وسجّل الله رضاه عنهم في آيةٍ تُتلى إلى يوم القيامة: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ تفسير ابن كثير ٤٨: ١٨.

ولهذه الآية سُمّيت تلك البيعة **بيعة الرضوان**. وتذكر الآية أربع عطايا لهم:

النعمة	في الآية ٤٨: ١٨
رضا الله	﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
علم الله بما في القلوب	﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾
السكينة	﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾
الفتح القريب	﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (خيبر)

تكرّرت كلمة **السكينة** في سورة الفتح غير مرّة (٤٨: ٤، ١٨، ٢٦). فحين اضطربت قلوب الصحابة من شروط الصلح أنزل الله السكينة ليثبتوا على الطاعة. والعبرة: أنّ طمأنينة القلب **عطاءٌ من الله**، لا ثمرة جهد البشر وحده.

الشجرة التي نُسيت

ذُكرت شجرة بيعة الرضوان في القرآن. لكنّ الله بحكمته جعلها منسيّة، حتى إنّ الصحابة أنفسهم لم يهتدوا إليها. يحكي طارق بن عبد الرحمن:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٦٣

حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ انْطَلَقْتُ حَاجًّا فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ قُلْتُ مَا هَذَا الْمَسْجِدُ قَالُوا هَذِهِ الشَّجَرَةُ، حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ. فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ سَعِيدٌ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَسِينَاهَا، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا. فَقَالَ سَعِيدٌ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ، فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ.

السند رواه الإمام البخاري: عن محمود بن غَيْلان، عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن طارق بن عبد الرحمن، عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه المسيّب بن حَزْن رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٦٣؛ وانظر أيضًا ٤١٦٢-٤١٦٥؛ وصحيح مسلم رقم ١٨٥٩.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4163

وسعيد بن المسيّب، من أعلم التابعين، يردّ بلطفٍ على من ادّعى معرفة مكان الشجرة: كيف تعلمونه وأصحابُ محمدٍ الذين بايعوا تحتها لم يعلموه؟

من كتب السيرة: عمر والشجرة

روى ابن سعد أنّ الناس في زمن عمر رضى الله عنه صاروا يأتون شجرةً ظنّوها شجرة البيعة فيصلّون عندها، **فأمر عمر بقطعها** خشية أن تُعبد. وهذه الرواية مشهورة، لكنّ إسنادها **متكلَّمٌ فيه** عند العلماء (ذكرها ابن حجر في فتح الباري).

المرجع:

ابن سعد، الطبقات الكبرى؛ ابن حجر، فتح الباري – شرح الحديث ٤١٦٣. https://sunnah.com/bukhari:4163

والعبرة: أنّ الإسلام **يصون صفاء التوحيد**. فالمعظَّم هو الحدث ورضا الله، لا جذع الشجرة. ومن حكمة نسيانها ألّا يتّخذها أحدٌ مكانًا يُعظَّم.

مجيء سهيل بن عمرو

ثم رجع عثمان سالمًا، وبعثت قريش **سهيل بن عمرو**، أحد خطبائها، ليفاوض. فلمّا رآه رسول الله ﷺ مقبلًا قال متفائلًا: «**لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**» – تفاؤلًا باسم سهيل (صحيح البخاري ٢٧٣١).

كان رسول الله ﷺ **يحبّ الاسم الحسن والفأل**، وينهى عن الطِّيَرة. فرأى في مجيء مفاوضٍ اسمه «سهيل» علامةً على تيسّر الأمر.

من كتب السيرة: من هو سهيل بن عمرو؟

كان سهيل من سادة قريش وخطيبًا فصيحًا، أُسر يوم بدر (الحلقة ٩). وتذكر كتب السيرة أنّه أسلم يوم فتح مكّة وحسن إسلامه. وبعد وفاة رسول الله ﷺ، حين كاد كثيرٌ من أهل مكّة أن يرتدّوا، **قام سهيل خطيبًا** يثبّتهم على الإيمان. ثم استُشهد في الجهاد بالشام.

المرجع:

ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة؛ ويكيبيديا، «Suhayl ibn Amr». https://en.wikipedia.org/wiki/Suhayl_ibn_Amr

والعبرة: أنّ عدوّ اليوم قد يكون **أخًا في الإيمان** غدًا. فالرجل الذي أبى أن يُكتب «رسول الله» في هذا الصلح صار بعدُ مدافعًا عن الإسلام في مكّة.

كتابة الصلح

وبدأت المفاوضة، ودُعي **عليّ بن أبي طالب** رضى الله عنه ليكتب. فاعترض سهيل من السطر الأوّل. يحكي أنس رضى الله عنه:

حديث — صحيح مسلم، رقم ١٧٨٤

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ قُرَيْشًا، صَالَحُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِعَلِيٍّ اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَالَ سُهَيْلٌ أَمَّا بِاسْمِ اللَّهِ فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَكِنِ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ فَقَالَ اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ. قَالُوا لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لاَتَّبَعْنَاكَ وَلَكِنِ اكْتُبِ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَكْتُبُ هَذَا قَالَ نَعَمْ إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا.

السند رواه الإمام مسلم: عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عفّان بن مسلم، عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت البُناني، عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، حديث رقم ١٧٨٤.

الدرجة: صحيح — أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1784

وفي رواية البراء أنّ عليًّا أبى أن يمحو كلمة «**رسول الله**» توقيرًا، فطلب رسول الله ﷺ أن يُريه مكانها **فمحاها بيده الشريفة**) صحيح البخاري ٢٦٩٩.(

اعتراض سهيل	جواب رسول الله ﷺ
لا يعرف «الرحمن الرحيم»	قَبِل «باسمك اللهمّ»
لا يقرّ بـ«رسول الله»	قَبِل «محمد بن عبد الله»
عليّ يأبى المحو	محاها ﷺ بنفسه
المبدأ لا يتغيّر	«وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي»

كان رسول الله ﷺ **ليّنًا في الشكل، ثابتًا في الجوهر.** فـ«باسمك اللهمّ» فيها اسم الله، و«محمد بن عبد الله» حقٌّ لا ريب فيه. لم يتنازل عن العقيدة، وإنّما ترك المطالبة بلفظٍ من أجل تحقيق الصلح.

النبيّ الأمّيّ

في رواية البراء أنّ رسول الله ﷺ طلب أن يُرى موضع كلمة «رسول الله» ليمحوها — لأنّه **لا يقرأ ولا يكتب**. ووصفه الله بـ﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ (الأعراف ٧: ١٥٧). وهذه الصفة برهانٌ على أنّ القرآن **ليس من تأليفه**، إذ لا يمكن لمن لا يقرأ أن يأتي بكتابٍ بهذا البيان.

وكان عليٌّ الكاتبَ يومئذ. والعبرة: أنّ رسول الله ﷺ **احترم مهارات** أصحابه وأسند الأعمال إلى أهلها، وتولّى هو قيادة المفاوضة.

شروط الصلح

بدت الشروط التي اتُّفق عليها أخيرًا **مجحفة**، فشقّ ذلك على الصحابة كثيرًا. لكنّ التاريخ أثبت أنّ كلّ شرطٍ منها صار في مصلحة الإسلام:



الشروط بحسب صحيح البخاري 2731 وصحيح مسلم 1784 وكتب السيرة. وما بدا مجحفًا من الشروط صار في النهاية لصالح المسلمين.

الشكل ٣: شروط صلح الحديبية وعواقبها.

وأشدّ الشروط: **أنّ من جاء من مكّة إلى المدينة يُردّ، ولا يُردّ من ذهب من المدينة إلى مكّة.** وبيّن رسول الله ﷺ الحكمة: من ذهب منّا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم **سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا** (صحيح مسلم ١٧٨٤، الباب ١٢).

ووضعُ الحرب **عشر سنين** فتح باب الدعوة. قال الزهري: ما فُتح في الإسلام فتحٌ قبله كان أعظم منه، فلمّا كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضًا **تفاوضوا في الإسلام**، فلم يُكلَّم أحدٌ بالإسلام يعقل شيئًا إلّا دخل فيه (رواه ابن إسحاق).

والعبرة: لا تحكم على قرارٍ بـ**النظرة الأولى**. فربّما حمل شرطٌ يبدو خاسرًا نصرًا لم نره بعد.

أبو جندل في قيوده

وبينما كان الصلح يُكتب ولم يُختم بعد وقع حدثٌ يفطّر القلب. جاء **أبو جندل**، ابن سهيل بن عمرو نفسه، وقد أسلم وقيّده أهله، يَرْسُفُ في قيوده حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين (صحيح البخاري ٢٧٣١).

فقال سهيل: «**هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ**». فحاول رسول الله ﷺ أن يفاوضه: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ». فأصرّ سهيل: «فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا». فصاح أبو جندل: «**أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟**» — وكان قد عُذّب عذابًا شديدًا في الله (صحيح البخاري ٢٧٣١).

من كتب السيرة: وصيّةٌ لأبي جندل

تروي كتب السيرة أنّ رسول الله ﷺ قال له: «**يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا... وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ**»

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ مسند أحمد.

والعبرة: أنّ **الوفاء بالعهد** مبدأٌ لا يُتنازل عنه ولو في أشدّ المواقف ألمًا. ولم يذهب صبر أبي جندل سدًى — فقد فتح الله له مخرجًا بعد قليل (الباب ٢٠).

قلق عمر

أقلقت قصّةُ أبي جندل وشروطُ الصلح **عمرَ بن الخطّاب** رضى الله عنه قلقًا شديدًا. ثم حدّث سهل بن حُنَيف رضى الله عنه بهذه القصّة الناسَ في صفّين، عبرةً لهم كي يتّهموا آراءهم:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣١٨٢

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ، قَالَ كُنَّا بِصِفِّينَ فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ فَقَالَ بَلَى. فَقَالَ أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ قَالَ بَلَى. قَالَ فَعَلَى مَا نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا. فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا. فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ قَالَ نَعَمْ.

السند رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن محمد، عن يحيى بن آدم، عن يزيد بن عبد العزيز، عن أبيه عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي وائل، عن سهل بن حُنَيف رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، حديث رقم ٣١٨٢؛ وانظر أيضًا رقم ٤٨٤٤؛ وصحيح مسلم رقم ١٧٨٥.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3182

لاحظ أنّ جواب **أبي بكر** جاء مطابقًا لجواب رسول الله ﷺ كلمةً كلمة، مع أنّه لم يسمعه. ولهذا سُمّي أبو بكر **الصدّيق**: قلبه موافقٌ لقلب رسول الله ﷺ.

ثم ندم عمر على قوله. وفي رواية أخرى قال: «**فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا**» — من صدقةٍ وصيامٍ وصلاةٍ وعتق (صحيح البخاري ٢٧٣١).

والعبرة: أنّ **الحماسة الصادقة** يجب أن تخضع لـ**الوحي**. فرأينا، مهما حسنت نيّته، قد يخطئ؛ فلنزنه بهدي الله ورسوله.

قلبان متوافقان

قال رسول الله ﷺ:«**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ**» صحيح البخاري ٣٦٥٦). وفي الحديبية ظهرت هذه المنزلة: حين اضطرب عمر سكن أبو بكر، لأنّ يقينه برسول الله ﷺ لم يكن متوقّفًا على ما تراه العين.

والعبرة: أنّ الإيمان الراسخ هو الذي لا يتزعزع حين يبدو أمر الله ورسوله مخالفًا لمنطقنا. فقد صدّق أبو بكر بالإسراء بلا تردّد (الحلقة ٦)، وصدّق بالحديبية كذلك.

مشورة أمّ سلمة

فلمّا خُتم الصلح أمر رسول الله ﷺ أصحابه: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**». لكن **لم يقم منهم رجلٌ واحد**، حتى قالها ثلاث مرّات. لم يكونوا عصاةً، بل كانوا مصدومين حزانى، ولعلّهم كانوا يرجون أن يغيّر الوحي الحال (صحيح البخاري ٢٧٣١).

فدخل على زوجه **أمّ سلمة** رضى الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس. فأشارت عليه برأيٍ حكيم: «**يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ**» صحيح البخاري ٢٧٣١).

ففعل. فلمّا رأى الصحابة أنّه نحر وحلق **قاموا فنحروا**، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا (صحيح البخاري ٢٧٣١).

مشورة أمّ سلمة	حكمته
«اخْرُجْ»	القائد يتقدّم ولا ينتظر
«لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا»	القدوة أقوى من تكرار الأمر
«تَنْحَرَ… فَيَحْلِقَكَ»	الفعل الحاسم يقطع الأمل في تغيير القرار
رسول الله ﷺ يقبل	استمع ﷺ إلى مشورة امرأة

والعبرة: أنّ **القدوة** أبلغ من الكلام. وأنّ رسول الله ﷺ قدّر **رأي زوجه** — فأنقذت مشورةُ أمّ سلمة الصحابةَ من المخالفة.

التحلّل: النحر والحلق

أحرم الصحابة لكنّهم صُدّوا عن الكعبة. فما حكمهم؟ قد بيّنه الله في القرآن:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ تفسير ابن كثير ٢: ١٩٦.

ويُعرف هذا الحكم بالإحصار – المنع من إتمام الحجّ أو العمرة. فالمُحصَر ينحر هديه حيث أُحصر، ثم يحلق أو يقصّر ويتحلّل من إحرامه. وقد أخذ العلماء هذا الحكم من واقعة الحديبية مباشرة.

ودعا رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ». قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ فأعادها، ثم قال في الثالثة أو الرابعة: «وَالْمُقَصِّرِينَ» (صحيح البخاري ١٧٢٧). وفي بعض روايات السيرة أنّ هذا الدعاء كان بالحديبية.

أحكامٌ من الحديبية	البيان
الإحصار	المنع من إتمام العمرة ← النحر والتحلّل
الحلق أفضل	الدعاء بالرحمة للمحلّقين ثلاثًا
الاشتراك في الهدي	البدنة أو البقرة عن سبعة (صحيح مسلم ١٣١٨)
قضاء العمرة	أدّيت العمرة في العام التالي

قال جابر رضي الله عنه: «نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ» (صحيح مسلم ١٣١٨). والعبرة: أنّ شريعة الإسلام يُسر، وأنّ كلّ ابتلاءٍ جاء بأحكامٍ تنفع الأمّة إلى اليوم.

نزول سورة الفتح

وفي طريق العودة إلى المدينة، والقلوب مثقلة، أنزل الله وحيًا غيّر كلّ شيء. يحكي عمر رضى الله عنه، وكان لا يزال خائفًا على نفسه:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٧٧

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلاً، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ لاَ يُجِيبُكَ. قَالَ عُمَرُ فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي ـ قَالَ ـ فَقُلْتُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ. وَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَىَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

السند رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن يوسف، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أسلم، عن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٧٧؛ وانظر أيضًا ٤٨٣٣ و٥٠١٢.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4177

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ تفسير ابن كثير ٤٨: ١.

تأمّل حال عمر: كان **يخشى** أن ينزل فيه قرآنٌ يعاتبه لإلحاحه على رسول الله ﷺ. لكنّ الذي نزل **بشارة**. ووصف رسول الله ﷺ هذه السورة بأنّها أحبّ إليه **ممّا طلعت عليه الشمس** — أي الدنيا كلّها.

آيات سورة الفتح	صلتها بالحديبية
48: 1–3	الفتح المبين؛ المغفرة؛ النصر العزيز
48: 4	إنزال السكينة في قلوب المؤمنين
٤٨: ١٠، ١٨	بيعة الرضوان؛ رضا الله
48: 24–26	كفّ الله أيدي الفريقين؛ حميّة الجاهليّة
48: 27	الرؤيا الصادقة ستتحقّق
48: 29	صفة الصحابة كزرعٍ قويّ النماء

مثَل الزرع

تُختم سورة الفتح بمثَلٍ جميلٍ للصحابة: ﴿**كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ**﴾ (الفتح ٤٨: ٢٩). وتذكر الآية أنّ هذا المثَل في **الإنجيل**.

كان الصحابة في الحديبية كـ**البرعم الصغير**: ١٤٠٠ رجلٍ صُدّوا عن الكعبة. لكن من ذلك البرعم نمت شجرة الإسلام قويّةً تُعجب الزرّاع. والعبرة: لا تحتقر البدايات الصغيرة إذا غُرست بإخلاص.

أفتحٌ هو؟

بقي الصحابة يتساءلون: كيف يكون هذا الصلح **فتحًا**؟ فبيّن أنس بن مالك رضى الله عنه معنى الآية:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٧٢

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضى الله عنه {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} قَالَ الْحُدَيْبِيَةُ. قَالَ أَصْحَابُهُ هَنِيئًا مَرِيئًا فَمَا لَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ} قَالَ شُعْبَةُ فَقَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلِّهِ عَنْ قَتَادَةَ ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ أَمَّا {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ} فَعَنْ أَنَسٍ، وَأَمَّا هَنِيئًا مَرِيئًا فَعَنْ عِكْرِمَةَ.

السند رواه الإمام البخاري: عن أحمد بن إسحاق، عن عثمان بن عمر، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، حديث رقم ٤١٧٢؛ وانظر أيضًا ٤٨٣٤.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4172

وقال البراء بن عازب رضى الله عنه: «**تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ... وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ**» (صحيح البخاري ٤١٥٠، الباب ٤). فالحديبية عند من شهدها بابُ كلّ فتحٍ جاء بعدها.

براهين الفتح	البيان
الاعتراف	فاوضت قريشُ المدينةَ ندًّا لندّ
أمن الدعوة	التقى الناس وتحاوروا في الإسلام بلا خوف
كثرة المسلمين	١٤٠٠ في الحديبية ← نحو ١٠٠٠٠ في فتح مكّة بعد عامين (كتب السيرة)

براهين الفتح	البيان
إسلام الكبار	أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص (٨هـ)
الكتب إلى الملوك	كتب رسول الله ﷺ إلى قيصر وكسرى وغيرهما يدعوهم

والعبرة: أنّ **النصر لا يأتي دائمًا بالسيف.** فقد يكون أعظم النصر أمنًا يفتح قلوب الناس للحقّ.

الكتب إلى الملوك

مكّن الأمنُ بعد الحديبية رسولَ الله ﷺ **من بعث كتب الدعوة** إلى كبار الحكّام. ويحكي الحديث في أوّل صحيح البخاري أنّ **هِرَقْل** قيصر الروم سأل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ وأبو سفيان بالشام «**فِي الْمُدَّةِ الَّتِي مَادَّ فِيهَا**» رسولُ الله ﷺ قريشًا (صحيح البخاري ٧).

ولولا صلح الحديبية لربّما لم تكن رحلة أبي سفيان التجاريّة إلى الشام ولا حواره مع هرقل. والعبرة: أنّ **الأمن يفتح أبواب الدعوة** التي لا تفتحها الحرب.

أبو بصير: المخرج الموعود

وبعد الرجوع إلى المدينة بقليل فرّ إلى رسول الله ﷺ مسلمٌ من مكّة يُدعى أبا بصير. فبعثت قريش رجلين في طلبه، فدفعه رسول الله ﷺ إليهما **وفاءً بالعهد** (صحيح البخاري ٢٧٣١).

وفي الطريق أفلت أبو بصير ورجع إلى المدينة. فقال رسول الله ﷺ معرّضًا: «**وَيْلُ أُمِّهِ، مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**». ففهم أبو بصير أنّه سيُردّ ثانيةً، فخرج حتى أتى **سِيفَ البحر**. ثم انفلت أبو جندل فلحق به، وتبعه كثيرٌ من مسلمي مكّة، حتى صاروا عصابةً **تعترض عِيرَ قريش** إلى الشام (صحيح البخاري ٢٧٣١).

حتى أرسلت **قريشٌ نفسُها** إلى رسول الله ﷺ تناشده بالله والرحم أن يقبلهم بالمدينة: «فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ». **فأسقط أصحابُ أشدّ الشروط ذلك الشرطَ بأنفسهم**. وأنزل الله الآيات ٤٨: ٢٤-٢٦ (صحيح البخاري ٢٧٣١).

ذلك هو «**الفرج والمخرج**» الذي وعد به رسول الله ﷺ في صحيح مسلم ١٧٨٤. والعبرة: أنّ الصبر والوفاء **بالعهد** أثمرا الحلّ في النهاية، دون أن ينقض المسلمون العهد مرّةً واحدة.

المهاجرات

نصّ صلح الحديبية على ردّ **الرجال** الفارّين من مكّة. فلمّا هاجرت المؤمنات إلى المدينة أنزل الله فيهنّ حكمًا خاصًّا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ تفسير ابن كثير ٦٠: ١٠.

وممّن هاجرت **أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط**، فجاء أهلها يطلبونها، فلم يرجعها رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية (صحيح البخاري ٢٧١١-٢٧١٢). وبيّن العلماء أنّ لفظ الصلح كان في **الرجال**، وأنّ المرأة أشدّ تعرّضًا للخطر لو رُدّت.

والعبرة: أنّ الإسلام **يحمي المرأة** التي اختارت الإيمان ويحترم اختيارها. وامتحان الإيمان في الآية يدلّ على أنّ القرار يُتّخذ **بعدلٍ وتثبّت** لا بغير بصيرة.

من الحديبية إلى فتح مكّة

لم تدم هدنة السنين العشر إلّا نحو **عامين**. فتذكر كتب السيرة أنّ بني بكر، حلفاء قريش، أغاروا على خُزاعة، حلفاء رسول الله ﷺ، بإعانةٍ من قريش بالسلاح والرجال. فكان **نقضُ العهد من قريش** لا من المسلمين.

وأفضى ذلك النقض إلى **فتح مكّة** سنة ٨هـ، وكاد يكون بلا قتال. والعبرة: أنّ الموفي بالعهد **ينصره الله** في النهاية، وأنّ الناكث إنّما ينكث على نفسه (الفتح ٤٨: ١٠).

فنّ التفاوض

الحديبية خيرُ مثالٍ على امتثال أمر الله في الصلح: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ تفسير ابن كثير ٨: ٦١.

ملاحظة من العلوم الاجتماعيّة: التفاوض المبدئيّ

قدّم مشروع هارفارد للتفاوض (Harvard Negotiation Project) منهج **التفاوض المبدئيّ** في الكتاب الشهير ***«Getting to Yes»*** (فيشر وأوري وباتون). ومن أهمّ مبادئه: **افصل الأشخاص عن المشكلة، وركّز على المصالح لا على المواقف، وابتكر خياراتٍ تنفع الطرفين.** (Harvard PON)

مبادئ التفاوض الحديثة	في الحديبية
التركيز على المصالح	المصلحة الحقيقيّة الأمن والدعوة، لا كلمة «رسول الله»
فصل الأشخاص عن المشكلة	«لقد سهل لكم من أمركم» — حسن معاملة سهيل
معرفة أفضل البدائل	الاستعداد للقتال (البيعة) مع اختيار الصلح
النظر البعيد	هدنة ١٠ سنين ← كثرة المسلمين كثرةً عظيمة

قبل نظريّات التفاوض الحديثة بأكثر من ١٤٠٠ سنة طبّق رسول الله ﷺ هذه المبادئ — مع إضافةٍ لا توجد في كتب النظريّات: **التوكّل على الله.** والعبرة: أنّ القوّة الحقيقيّة في التفاوض **وضوح الهدف والصبر**، لا الغلبة في كلّ لفظ.

الحديبية في البيت والعمل

يمكن تطبيق مبادئ الحديبية في الحياة اليوميّة. ففي **البيت** قد نحتاج إلى التنازل في الصغائر حفظًا لوئامٍ أكبر. وفي **العمل** نحتاج إلى التمييز بين المبادئ التي لا مساومة فيها والأمور الفنّيّة القابلة للتفاوض.

وقد استمع رسول الله ﷺ إلى مشورة **زوجه** حين اشتدّ الأمر (الباب ١٦). والعبرة: أنّ التفاوض الحسن يبدأ من البيت — **بالإصغاء والصبر وبُعد النظر**.

مصادر قصص الحديبية

وصلت إلينا قصّة الحديبية من ثلاثة أنواعٍ من المصادر تتفاوت درجتها. ويميّز هذا الكتاب بينها ليعرف القارئ **ما هو قطعيّ وما هو مشهور**:

مصادر قصص الحديبية

القرآن الكريم (6)

- الفتح المبين (48: 1)
- ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (48: 10)
- رضي الله عنهم تحت الشجرة (48: 18)
- حميّة الجاهليّة وكلمة التقوى (48: 26)
- الرؤيا الصادقة (48: 27)
- المهاجرات (60: 10)

حديث صحيح (9)

- البئر الفائضة؛ الماء من بين الأصابع
- البيعة على الموت؛ 1400 رجل
- «أنتم خير أهل الأرض»
- كتابة الصلح؛ الشروط
- قلق عمر
- مشورة أمّ سلمة؛ أبو جندل؛ أبو بصير
- نزول سورة الفتح
- نسيان الشجرة
- أصحاب الشجرة لا يدخلون النار

كتب السيرة (3)

- إشاعة مقتل عثمان (تفاصيلها)
- عدد الجيش يوم فتح مكّة
- قطع عمر للشجرة

تُذكر قصص كتب السيرة مع بيان درجتها في الباب المتعلّق بها.

الشكل ٤: درجة مصادر قصص الحديبية في هذا الكتاب.

القصة	المصدر والدرجة
الرؤيا، البيعة، الرضا، السكينة، التحلّل، المهاجرات	القرآن الكريم (البقرة ٢: ١٩٦؛ الفتح ٤٨؛ الممتحنة ٦٠: ١٠) — قطعيّ
المسير، القصواء، الرسل، أبو جندل، أمّ سلمة، أبو بصير	صحيح البخاري ٢٧٣١ — صحيح
البئر، الماء من الأصابع، البيعة على الموت، ١٤٠٠ رجل، الشجرة، الفتح	صحيح البخاري ٤١٥٠–٤١٧٧، ٣١٨٢، ٣٦٩٨ — صحيح
كتابة الصلح، أصحاب الشجرة، الاشتراك في الهدي	صحيح مسلم ١٧٨٤، ٢٤٩٦، ١٣١٨ — صحيح
إشاعة مقتل عثمان (تفاصيلها)، قطع عمر للشجرة، قول الزهري	كتب السيرة (ابن إسحاق، ابن سعد) — مشهورة، متفاوتة الأسانيد

ليست قصص كتب السيرة مكذوبةً بالضرورة، فقد رواها علماء سيرةٍ ثقات. لكنّها **لا ترقى** إلى منزلة القرآن والحديث الصحيح. **ولم يُدرج** هذا الكتاب الإسرائيليات ولا الروايات الظاهرة الوضع.

المخلَّفون والمستضعفون المستخفون

شرح الباب ١٨ أهمّ آيات سورة الفتح: الفتح المبين، والسكينة، وبيعة الرضوان، والرؤيا الصادقة، ومثَل الزرع. غير أنّ السورة تذكر أيضًا فئتين قلّما يُتحدّث عنهما. الأولى: الأعراب الذين تخلّفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ. والثانية: المؤمنون المستخفون بمكّة، الذين كانوا من أسباب كفّ الله القتال يومئذ.

الآية	المعنى باختصار	العبرة
48: 11	اعتذر الأعراب المخلَّفون بأنّ أموالهم وأهليهم شغلتهم، وطلبوا الاستغفار	يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم
48: 12	ظنّوا أنّ رسول الله ﷺ والمؤمنين لن ينقلبوا إلى أهليهم أبدًا	سوء الظنّ بوعد الله
48: 15	أرادوا الخروج حين انطلق المسلمون إلى المغانم، فردّهم الله	يريدون الثمرة بلا تضحية
48: 16	سيُدعون إلى قتال قومٍ أولي بأسٍ شديد، فإن أطاعوا أُوتوا أجرًا	باب التوبة لا يزال مفتوحًا
48: 17	ليس على الأعمى ولا الأعرج ولا المريض حرج	العذر الصادق مقبول
48: 20–21	وعد الله مغانم كثيرة، وأخرى لم يقدروا عليها بعد	وعدٌ يتحقّق على مراحل
48: 24	كفّ الله أيدي الفريقين ببطن مكّة	الصلح قضاءُ الله
48: 25	لولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات بمكّة لم تعلموهم...	حفظ دماء المؤمنين

أعذار المخلَّفين

لمّا استنفر رسول الله ﷺ الناس للعمرة تخلّف بعض قبائل الأعراب حول المدينة، وظنّوا أنّ قريشًا ستستأصل المسلمين. فكشف الله ما في قلوبهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح ٤٨:

١١). وقد سمّى بعض المفسّرين قبائل في هذا السياق، لكنّ ذلك لا يعني أنّ كلّ أفراد تلك القبائل تخلّفوا، فقد شهد الحديبيةَ كثيرٌ من الصحابة من قبائل الأعراب (تفسير ابن كثير ٤٨: ١١).

فلمّا جاء وقت مغانم خيبر أرادوا الخروج، فأمر الله رسوله ﷺ أن يردّهم (الفتح ٤٨: ١٥)، لأنّ مغانم خيبر وُعد بها أهل الحديبية خاصّة. لكنّ الله لم يغلق الباب: سيُدعون إلى قتال ﴿قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، فإن أطاعوا آتاهم الله أجرًا حسنًا (الفتح ٤٨: ١٦). واختلف المفسّرون في هؤلاء القوم: فقيل هوازن وثقيف، وقيل بنو حنيفة، وقيل فارس والروم (ابن كثير). وهذا من اجتهاد المفسّرين لا نصٌّ قاطع.

المؤمنون المستخفون بمكّة

تبيّن الآية ٢٥ حكمةً من حِكَم كفّ الله القتال: فقد كان بمكّة يومئذٍ رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات يكتمون إيمانهم. فلو وقع القتال لربّما قتلهم المسلمون وهم لا يعلمون، فتصيبهم منهم معرّةٌ وندم. وقال الله إنّهم لو تزيّلوا لعذّب الذين كفروا عذابًا أليمًا (الفتح ٤٨: ٢٥؛ تفسير ابن كثير ٤٨: ٢٥).

وأبو جندل (الباب ١٤) وأبو بصير (الباب ٢٠) مثالان للمسلمين المستضعفين بمكّة، وغيرهم كثيرٌ لا تُعرف أسماؤهم. فحفظ الله دماءهم بالصلح.

العبرة

تعلّمنا هذه الآيات أمرين: أوّلهما أنّ العذر الحلو على اللسان لا يخدع الله، وإنّما يوزن المرء باستعداده للتضحية عند الحاجة. وثانيهما أنّ القرار الذي يبدو ضعيفًا قد يكون حافظًا لأرواح قومٍ لا نعرفهم. فالله يرى ما لا نرى.

الشورى وأحكامٌ من الحديبية

ليست الحديبية قصّة صلحٍ فحسب، بل هي أيضًا مصدرٌ لأحكامٍ لا يزال الفقهاء يتدارسونها إلى اليوم. ويجمع هذا الباب حادثتين لم يُتطرّق إليهما بعد، وهما الشورى قبل بلوغ الحديبية وقصّة كعب بن عُجْرة، ثم يلخّص الأحكام المأخوذة من هذه الواقعة.

الشورى قبل القرار

حديث: «أَشِيرُوا عَلَيَّ»

عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان أنّ رسول الله ﷺ لمّا كان بغدير الأشطاط أتاه عينُه فأخبره أنّ قريشًا قد جمعوا له جموعًا ليصدّوه عن البيت، فقال: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ». فقال أبو بكر رضى الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ». قال: «امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ».

الدرجة: صحيح — صحيح البخاري ٤١٧٨، ٤١٧٩.

كان رسول الله ﷺ يتلقّى الوحي، ومع ذلك استشار أصحابه. فأجاب أبو بكر بالتذكير بغاية الرحلة الأصليّة: العمرة لا الحرب. ووافقت مشورته ما وقع بعدُ حين اختار ﷺ طريق الصلح. ومع مشورة أمّ سلمة (الباب ١٦) شهدت الحديبية شوريين حدّدتا مسار الأحداث.

كعب بن عُجْرة وفدية الحلق

حديث: القَمْل في رأس كعب

عن كعب بن عُجْرة رضى الله عنه أنّه كان مع رسول الله ﷺ بالحديبية وهو محرم، والقَمْلُ يتساقط من رأسه، فقال: «أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟» قال: نعم، فأمره أن يحلق. فأنزل الله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

الدرجة: صحيح — صحيح البخاري ٤١٥٩؛ وانظر أيضًا صحيح البخاري ١٨١٤؛ والآية البقرة ٢: ١٩٦.

وفي روايات أخرى للحديث نفسه بيّن رسول الله ﷺ خيارات الفدية الثلاثة: صيام ثلاثة أيّام، أو إطعام ستّة مساكين، أو ذبح شاة (صحيح البخاري ١٨١٤). فصار صحابيٌّ عاديّ، في مرضٍ يسير، سببًا لنزول حكمٍ يعمل به ملايين الحجّاج والمعتمرين إلى اليوم.

أحكامٌ مأخوذة من الحديبية

الحكم	الدليل من الحديبية	ملاحظة
الشورى قبل القرارات الكبرى	صحيح البخاري ٤١٧٨–٤١٧٩؛ مشورة أمّ سلمة	هذا الباب والباب ١٦
فدية الحلق لعذرٍ في الإحرام	البقرة ٢: ١٩٦؛ صحيح البخاري ٤١٥٩	صيامٌ أو صدقةٌ أو نُسُك
الإحصار: التحلّل عند المنع	البقرة ٢: ١٩٦	الباب ١٧
الاشتراك في البدنة أو البقرة	صحيح مسلم ١٣١٨	الباب ١٧
الصلح مع غير المسلمين	الأنفال ٨: ٦١؛ صحيح البخاري ٢٧٣١	جائزٌ إذا كانت فيه مصلحة
الوفاء بالعهد ولو شقّ	ردّ أبي جندل وأبي بصير	البابان ١٤ و٢٠
الشرط لا يُحلّ حرامًا	المؤمنات لا يُرجَعن (الممتحنة ٦٠: ١٠)	الباب ٢١
مدّة الهدنة	هدنة عشر سنين (كتب السيرة)	اختلف فيها الفقهاء

وفي مدّة الهدنة جعل بعض الفقهاء، ومنهم الإمام الشافعي، مدّة السنين العشر في الحديبية حدًّا أقصى. ورأى آخرون أنّ المدّة بحسب مصلحة المسلمين. وهذه مسألةٌ اجتهاديّة بسطتها كتب الفقه.

العبرة

تعلّمنا الحديبية أنّ أحكام الإسلام وُلدت من واقع الحياة: صحابيٌّ مريض، وجماعةٌ صُدّت عن البيت، وصلحٌ عسير. جاءت الشريعة للتيسير لا للتعسير. وأكرم القادة كان يستشير من حوله.

رجال صلح الحديبية

تذكر أحاديث الحديبية رجالًا كثيرين من قبائل شتّى. ويرتّبهم الجدول التالي مع قبائلهم وأدوارهم ومصادرهم. وقد رُوجعت قبيلة كلّ واحدٍ منهم، ويُنبَّه بوضوح على ما لا يوجد إلّا في كتب السيرة.

المسلمون

العَلَم	القبيلة	الدور	المصدر
أبو بكر الصدّيق	قريش (بنو تَيْم)	أشار في الشورى؛ وسكّن عمر	البخاري ٤١٧٨، ٢٧٣١
عمر بن الخطّاب	قريش (بنو عديّ)	قلق من الشروط ثم ندم	البخاري ٢٧٣١، ٣١٨٢
عثمان بن عفّان	قريش (بنو أميّة)	الرسول إلى مكّة؛ بايع عنه رسول الله ﷺ	البخاري ٣٦٩٨
عليّ بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	كاتب الصلح	مسلم ١٧٨٤؛ البخاري ٢٦٩٩
أمّ سلمة	قريش (بنو مخزوم)	أشارت بأن ينحر ويحلق	البخاري ٢٧٣١
المغيرة بن شعبة	ثقيف	قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وعروة يفاوض	البخاري ٢٧٣١
سلمة بن الأكوع	أسلم	بايع ثلاث مرّات	البخاري ٤١٦٩؛ مسلم ١٨٠٧
مَعْقِل بن يسار	مُزَيْنة	رفع غصن الشجرة عن رأس رسول الله ﷺ وقت البيعة	مسلم ١٨٥٨
جابر بن عبد الله	الأنصار، الخزرج (بنو سَلِمة)	راوي عدد ١٤٠٠ و«خير أهل الأرض»	البخاري ٤١٥٤

العَلَم	القبيلة	الدور	المصدر
البراء بن عازب	الأنصار، الأوس (بنو حارثة)	راوي قصّة البئر الفائضة	البخاري ٤١٥٠
كعب بن عُجْرة	بَلِيّ، حليف الأنصار	سبب نزول حكم فدية الحلق	البخاري ٤١٥٩
أبو جندل بن سهيل	قريش (بنو عامر بن لؤيّ)	رُدّ في قيوده	البخاري ٢٧٣١
أبو بصير	البخاري: «رجلٌ من قريش»؛ كتب السيرة: عُتبة بن أَسِيد الثقفي، حليف بني زهرة	فتح مخرجًا للمسلمين المستضعفين	البخاري ٢٧٣١؛ كتب السيرة
الجَدّ بن قيس	الأنصار (بنو سَلِمة)	الوحيد الذي لم يبايع؛ اختبأ تحت إبط بعيره	مسلم ١٨٥٦

قريش وحلفاؤها

العَلَم	القبيلة	الدور	المصدر
سهيل بن عمرو	قريش (بنو عامر بن لؤيّ)	مفاوض قريش؛ أسلم يوم فتح مكّة	البخاري ٢٧٣١؛ كتب التراجم
بُدَيل بن ورقاء	خُزاعة	أوّل الرسل؛ بلّغ عرض الصلح	البخاري ٢٧٣١
عروة بن مسعود	ثقيف	أُعجب بمحبّة الصحابة	البخاري ٢٧٣١
رجلٌ من بني كنانة	كنانة؛ تسمّيه كتب السيرة الحُلَيس بن علقمة، سيّد الأحابيش	رأى الهدي المقلَّد فنصح قريشًا	البخاري ٢٧٣١؛ كتب السيرة

العَلَم	القبيلة	الدور	المصدر
مِكْرَز بن حفص	قريش (بنو عامر بن لؤيّ)	وصفه ﷺ بأنّه رجلٌ فاجر	البخاري ٢٧٣١
خالد بن الوليد	قريش (بنو مخزوم)	قاد الخيل بالغَمِيم؛ أسلم سنة ٨هـ	البخاري ٢٧٣١

من كتب السيرة: من نزل في البئر؟

في الحديث الصحيح أنّ رسول الله ﷺ انتزع سهمًا من كنانته وأمرهم أن يجعلوه في البئر، فجاشت بالريّ (صحيح البخاري ٢٧٣١). ولم يسمّ الحديثُ من نزل. وذكر ابن إسحاق أنّه ناجية بن جُندب الأسلمي، وفي روايةٍ أخرى اسمٌ غيره. وتذكر كتب السيرة أيضًا خِراش بن أميّة الخزاعي رسولًا أوّل إلى مكّة قبل عثمان. وكلا الخبرين من كتب السيرة.

المراجع: ابن هشام، السيرة النبوية؛ ابن حجر، فتح الباري (الحديث رقم ٢٧٣١).

العبرة

جمعت الحديبية رجالًا من قريش والأنصار وثقيف وأسلم ومزينة وغيرهم، اتّحدوا جميعًا تحت شجرةٍ واحدة. وفي الصفّ المقابل أسلم كثيرٌ منهم بعدُ: سهيل وخالد وعروة. أمّا الجدّ بن قيس فتذكرةٌ بأنّ شهود حدثٍ عظيم لا يضمن سلامة القلب.

الأماكن على طريق الحديبية

مرّ الطريق من المدينة إلى الحديبية بأماكن ذُكرت في الحديث وكتب السيرة. ويرتّبها الجدول التالي بحسب مسار الرحلة. ومواضع بعضها غير معروفةٍ على وجه الدقّة؛ ولذلك لا تُذكر المسافة إلّا حيث يوجد مصدرٌ حديثٌ واضح.

المكان	الحدث	المصدر
بِنَاءُ مُجْتَمَعِ الْمَدِينَةِ	خرج رسول الله ﷺ للعمرة في ذي القعدة	البخاري ١٧٧٨
ذو الحُلَيفة	الإحرام؛ إشعار الهدي وتقليده	البخاري ٤١٧٨
غدير الأشطاط (قرب عُسفان)	جاء العين بالخبر؛ واستشار رسول الله ﷺ أصحابه	البخاري ٤١٧٨
الغَمِيم	خالد بن الوليد ينتظر بالخيل؛ وسلك ﷺ طريقًا آخر	البخاري ٢٧٣١
الثنيّة (المهبط نحو مكّة)	بروك القصواء	البخاري ٢٧٣١؛ وتسمّيها كتب السيرة ثنيّة المُرار
الحديبية	البئر الفائضة؛ المفاوضة؛ بيعة الرضوان؛ الصلح	البخاري ٢٧٣١، ٤١٥٠
في طريق العودة	نزول سورة الفتح	البخاري ٤١٧٧

الحديبية اليوم

تقع الحديبية على الطرف الغربيّ لحدود حرم مكّة. ويذكر موقع «اكتشف مكّة» الصادر عن الجهات الرسميّة بمكّة أنّها على بُعد نحو ٢٠ كم من مكّة، وأنّها لا تزال تحتفظ بآثار بئرٍ قديمة (Discover Makkah:

Al-Hudaybiyah). وتذكر صحيفة «عرب نيوز» مسجدًا قرب الشُّمَيْسي، على نحو ٢٠ كم من مكّة في طريق جدّة القديم (Arab News).

ولا بدّ من التذكير بأنّ شجرة بيعة الرضوان لا يمكن تعيينها، حتى إنّ الصحابة الذين بايعوا تحتها لم يعرفوا مكانها في العام التالي (صحيح البخاري ٤١٦٣؛ الباب ١٠). فكلّ دعوى بأنّ موضعًا ما هو مكان الشجرة لا يمكن الجزم بها.

العبرة

تشهد هذه الأماكن بأنّ رسول الله ﷺ اختار الطريق الوعر اجتنابًا لسفك الدماء. والباقي ليس الشجر ولا الحجر، بل العبرة: الصبر والطاعة ورضا الله.

الخطّ الزمني لصلح الحديبية

عرض الشكل ١ خطًّا زمنيًّا موجزًا، ويفصّله الجدول التالي مع مصدر كلّ حدث. ويذكر الحديث الصحيح أنّ عمرة الحديبية كانت في ذي القعدة (صحيح البخاري ١٧٧٨)؛ أمّا التواريخ المفصّلة فمن كتب السيرة.

الرقم	الحدث	المصدر
1	رأى رسول الله ﷺ في المنام أنّه يدخل المسجد الحرام آمنًا	الفتح ٤٨: ٢٧
2	ذو القعدة ٦هـ: الخروج من المدينة للعمرة مع نحو ١٤٠٠ صحابيّ	البخاري ١٧٧٨، ٤١٥٤
3	ذو الحليفة: الإحرام وتقليد الهدي	البخاري ٤١٧٨
4	غدير الأشطاط: خبر قريش؛ الشورى مع الصحابة	البخاري ٤١٧٨–٤١٧٩
5	اجتناب خيل خالد بالغميم؛ بروك القصواء	البخاري ٢٧٣١
6	الحديبية: البئر الجافّة تفيض	البخاري ٤١٥٠، ٢٧٣١
7	رسل قريش: بُدَيل، وعروة، والرجل الكناني، ومِكْرَز	البخاري ٢٧٣١
8	بعث عثمان إلى مكّة؛ إشاعة مقتله	البخاري ٣٦٩٨؛ كتب السيرة
9	بيعة الرضوان تحت الشجرة	البخاري ٤١٦٩؛ الفتح ٤٨: ١٨
10	مجيء سهيل بن عمرو؛ كتابة عليٍّ للصلح	البخاري ٢٧٣١؛ مسلم ١٧٨٤
11	ردّ أبي جندل في قيوده	البخاري ٢٧٣١
12	التحلّل: النحر والحلق؛ فدية كعب بن عجرة	البخاري ٢٧٣١، ٤١٥٩
13	طريق العودة: نزول سورة الفتح	البخاري ٤١٧٧

الرقم	الحدث	المصدر
14	في المدينة: أبو بصير، المهاجرات	البخاري ٢٧٣١، ٢٧١١–٢٧١٢؛ الممتحنة ٦٠: ١٠
15	المحرّم ٧هـ: خيبر، «الفتح القريب»	الفتح ٤٨: ١٨؛ كتب السيرة
16	ذو القعدة ٧هـ: قضاء العمرة (عمرة القضاء)	البخاري ١٧٧٨
17	سنة ٨هـ: بنو بكر حلفاء قريش يغيرون على خزاعة، انتقاض الصلح	كتب السيرة
18	رمضان ٨هـ: فتح مكّة	كتب السيرة

لم تُذكر مدّة مقام المسلمين بالحديبية في الأحاديث الصحيحة المعتمدة في هذا الكتاب. وتذكر كتب السيرة أسابيع، بأعدادٍ متفاوتة.

العبرة

يُظهر هذا الخطّ الزمني كيف تحقّق وعد الله واحدًا بعد واحد: خيبر بعد أشهر، والعمرة بعد عام، ومكّة بعد عامين. وكلّ ما كان مطلوبًا هو الصبر والطاعة طوال الطريق.

أسئلة شائعة عن صلح الحديبية

١. كم كان عدد الصحابة في الحديبية؟

ذكرت الروايات الصحيحة ثلاثة أعداد: فقال عبد الله بن أبي أوفى: ألفًا وثلاثمائة (صحيح البخاري ٤١٥٥). وقال جابر والبراء: ألفًا وأربعمائة (صحيح البخاري ٤١٥٤، 4150). وفي روايةٍ أخرى عن جابر: ألفًا وخمسمائة (صحيح البخاري ٤١٥٣). وجمع العلماء، ومنهم ابن حجر في فتح الباري، بين هذه الروايات بأنّ العدد كان فوق الألف والأربعمائة، وكلّ راوٍ ذكر ما بلغه عدّه.

٢. لماذا استشار رسول الله ﷺ أصحابه وهو يتلقّى الوحي؟

تعليمًا للأمّة وتكريمًا للصحابة. فقد قال بغدير الأشطاط: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ» (صحيح البخاري ٤١٧٨). وأمره الله بمشاورتهم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران ٣: ١٥٩).

٣. هل قبل رسول الله ﷺ تلك الشروط برأيه؟

لمّا سأله عمر قال: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي» (صحيح البخاري ٢٧٣١). وفهم العلماء من هذا أنّه ﷺ كان يعمل بهدي الله.

٤. من هم «المخلَّفون من الأعراب» في الفتح ٤٨: ١١؟

هم بعض قبائل الأعراب حول المدينة أبوا الخروج ظنًّا منهم أنّ المسلمين سيهلكون. وسمّى المفسّرون بعض القبائل، لكنّ كثيرًا من الصحابة من القبائل نفسها شهدوا الحديبية. فالآية تحكم على موقف الأفراد لا على القبيلة كلّها (الباب ٢٤).

٥. لماذا لم يأذن الله بالقتال في مكّة يومئذ؟

من حكمته المذكورة في القرآن: أنّه كان بمكّة رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات مستخفون، وقد يقتلهم القتال دون علم (الفتح ٤٨: ٢٥). وكفّ الله أيدي الفريقين (الفتح ٤٨: ٢٤).

٦. هل بايع كلّ من حضر؟

ذكر جابر رضى الله عنه أنّهم بايعوا جميعًا إلّا الجدّ بن قيس الأنصاري، اختبأ تحت إبط بعيره (صحيح مسلم ١٨٥٦). وغاب عثمان لأنّه بُعث إلى مكّة، فبايع عنه رسول الله ﷺ بيده الشريفة (صحيح البخاري ٣٦٩٨).

٧. ما حكم المحرم إذا اضطرّ إلى الحلق لعذر؟

يحلق وتجب عليه الفدية: صيام ثلاثة أيّام، أو إطعام ستّة مساكين، أو ذبح شاة. ونزل هذا الحكم بسبب كعب بن عجرة في الحديبية (البقرة ٢: ١٩٦؛ صحيح البخاري ١٨١٤).

٨. هل بُني المسجد الذي في الحديبية مكان شجرة البيعة؟

مكان الشجرة غير معروف، حتى للصحابة الذين بايعوا تحتها (صحيح البخاري ٤١٦٣). فالمسجد في تلك الناحية يدلّ على منطقة الحدث، لا على موضع الشجرة يقينًا.

٩. كم كانت مدّة الهدنة، ولماذا انتهت؟

تذكر كتب السيرة أنّ الهدنة كانت عشر سنين. ولم تدم إلّا نحو عامين، حين أغار بنو بكر حلفاء قريش على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ بعونٍ من قريش. فأفضى ذلك النقض إلى فتح مكّة (الباب ٢١).

١٠. لماذا سكن أبو بكر واضطرب عمر؟

كلاهما مخلص. اضطرب عمر غيرةً على الدين، وسكن أبو بكر ليقينه برسول الله ﷺ، حتى جاء جوابه مطابقًا لجوابه ﷺ (صحيح البخاري ٢٧٣١). ثم ندم عمر وأكثر من الأعمال (الباب ١٥).

١١. ما المراد بـ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٤٨: ١٨) و﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ (٤٨: ٢٠)؟

ذكر ابن كثير أنّ المراد خيبر، التي فُتحت بعد الحديبية بأشهر (تفسير ابن كثير ٤٨: ١٨). وستُروى قصّة خيبر في الحلقة ١٦ إن شاء الله.

١٢. ما عبرة الحديبية لنا اليوم؟

تعلّمنا الحديبية الشورى قبل القرار، واللين في الشكل مع الثبات على المبدأ، والوفاء بالعهد ولو شقّ، وحسن الظنّ بقضاء الله. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة ٢: ٢١٦).

العبرة

تُظهر هذه الأسئلة أنّ الحديبية غنيّةٌ بالعلم: تفسيرًا وفقهًا وتاريخًا وأخلاقًا. وبالتمييز بين نصوص القرآن والحديث الصحيح وبين روايات كتب السيرة وآراء العلماء نفهم هذه الواقعة فهمًا دقيقًا ونأخذ عبرتها بيقين.

الدروس والخاتمة

صلح الحديبية برهانٌ على أنّ **نظر الإنسان محدود**، وأنّ علم الله محيطٌ بكلّ شيء. فما بدا يومئذٍ هزيمةً كان بابًا لأعظم فتحٍ في تاريخ الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿**وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ تفسير ابن كثير ٢: ٢١٦.

العبرة	من الحديبية
وعد الله حقّ، ووقته لله	تحقّقت الرؤيا بعد عام (٤٨: ٢٧)
تقديم السلم	«لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»
ليِّنٌ في الشكل، ثباتٌ في المبدأ	باسمك اللهمّ، محمد بن عبد الله
الوفاء بالعهد	ردّ أبي جندل وأبي بصير
اتّهام الرأي	قلق عمر وندمه
القدوة أقوى من الكلام	مشورة أمّ سلمة
مع العسر يسر	شرطٌ شديد ← مخرج (أبو بصير)
نصرٌ بلا سيف	﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (٤٨: ١)

الحديبية في حياتنا

نواجه في حياتنا «حديبيّاتنا» — قراراتٍ نقبلها والقلب غير راضٍ، وعهودًا تبدو خاسرة، وخططًا تتأجّل. وتعلّمنا هذه القصّة أن **نصبر ونفي بالعهد ونتّسع صدرًا**، وأن نثق بأنّ الله يهيّئ لنا ﴿**فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ لم نره بعد.

ونتواصل سلسلة «**السيرة النبوية**» إن شاء الله بـ**الحلقة ١٦** — أحداث ما بعد الحديبية. والله أعلم.

المراجع

القرآن الكريم والتفسير

القرآن الكريم، بالرسم العثماني. https://quran.com/ms

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (البقرة ٢: ١٩٦، ٢١٦؛ الأنفال ٨: ٦١؛ الفتح ٤٨: ١–٢٩؛ الممتحنة ٦٠: ١٠). https://tafsir.app/ibn-katheer/48/1

الحديث الشريف

صحيح البخاري ١٧٢٧، ٢٦٩٩، ٢٧١١، ٢٧٣١، ٣١٨٢، ٣٦٩٨، ٤١٥٠، ٤١٥٢، ٤١٥٤، ٤١٦٣، ٤١٦٩، ٤١٧٢، ٤١٧٧. https://sunnah.com/bukhari

صحيح مسلم ١٣١٨، ١٧٨٤، ١٨٥٦، ٢٤٩٦. https://sunnah.com/muslim

كتب السيرة والتاريخ

ابن هشام، السيرة النبوية (برواية ابن إسحاق) — باب الحديبية.

ابن سعد، الطبقات الكبرى؛ الواقدي، المغازي؛ ابن كثير، البداية والنهاية.

صفيّ الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم — باب صلح الحديبية.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري — كتاب الشروط (الحديث ٢٧٣١) وكتاب المغازي.

العلوم الاجتماعيّة

Fisher, R., Ury, W. & Patton, B. Getting to Yes: Negotiating Agreement Without Giving In. Harvard Negotiation Project. https://www.pon.harvard.edu/tag/getting-to-yes/

ويكيبيديا، «Treaty of Hudaybiyyah». https://en.wikipedia.org/wiki/Treaty_of_Hudaybiyyah

ويكيبيديا، «Pledge of the Tree». https://en.wikipedia.org/wiki/Pledge_of_the_Tree

ويكيبيديا، «Suhayl ibn Amr». https://en.wikipedia.org/wiki/Suhayl_ibn_Amr

أحاديث ومصادر إضافية

صحيح البخاري ٤١٧٨، ٤١٧٩ (الشورى بغدير الأشطاط). https://sunnah.com/bukhari:4178

صحيح البخاري ٤١٥٩، ١٨١٤ (كعب بن عجرة وفدية الحلق). https://sunnah.com/bukhari:4159

صحيح البخاري ٤١٥٣، ٤١٥٥ (عدد الصحابة في الحديبية). https://sunnah.com/bukhari:4155

صحيح البخاري ١٧٧٨ (عُمَر رسول الله ﷺ في ذي القعدة). https://sunnah.com/bukhari:1778

صحيح مسلم ١٨٥٦ (الجدّ بن قيس لم يبايع). https://sunnah.com/muslim:1856c

صحيح مسلم ١٨٥٨ (معقل بن يسار يرفع غصن الشجرة). https://sunnah.com/muslim:1858

تفسير ابن كثير، الفتح ٤٨: ١١ و٤٨: ٢٥. https://tafsir.app/ibn-katheer/48/25

اكتشف مكّة، «Al-Hudaybiyah». https://discovermakkah.sa/en/places-worth-visiting/landmarks/al-hudaybiyah

عرب نيوز، «Hudaibiyah: Grand victory in Islamic history». https://www.arabnews.com/node/444232

الدعم والتبرّع

يُنشر هذا الكتاب **مجّانًا بالكامل** للأمّة الإسلامية، **ولا يجوز بيعه أبدًا.** والتبرّعات مرحّبٌ بها للمساعدة في تكاليف البحث، واستضافة الموقع quranscience.my، ونشر مزيدٍ من الكتب — لكنّها **ليست واجبة.** نسأل الله أن يتقبّل كلّ تبرّعٍ صدقةً جارية.

سورة البقرة (٢): ٢٦١

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١

المصدر: quran.com/2:261

سورة سبأ (٣٤): ٣٩

قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

المصدر: quran.com/34:39

حديث — صحيح مسلم، رقم ٢٥٨٨

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ، حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم ٢٥٨٨.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:2588

حديث – صحيح مسلم، رقم ١٦٣١

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، - يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ - وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - هُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الوصيّة، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم ١٦٣١.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1631

جزاكم الله خيرًا كثيرًا



امسح رمز QR أعلاه (DuitNow، ماليزيا) للتبرّع.

تبرع

للمتبرّعين من خارج ماليزيا: انقر زرّ «تبرّع» أو زُر paypal.me/quranscience